ملخّص ويسألونَ عن الطُفوفِ وأسرارِها... / عبد الحليم الغِزّي
الحلقةُ الثانيةُ والثلاثون
عُرضت الثلاثاء: ٢٣/صفر/١٤٤٤ - ٢٠٢٢/٩/٢٠ م

هذا هو الجزءُ الرابعُ والعشرون مِن عُنواننا المتقدِّمِ في الحلقاتِ الماضية؛ **"الكَفَالَةُ الحُسَينيَّة"**.
الكَفَالَةُ الحُسينيَّةُ الَّتي حَدَّثتكم عنها في أوَّلِ أجزاء هذا الموضوع ما جاء في الزيارةِ الحُسينيَّةِ المطلقةِ الأولى بحسبِ تبويبِ وفهرسةِ (مفاتيح الجنان)، هكذا تقولُ الزيارةُ الشريفة تُخاطِبُ سَيِّد الشُّهداء في زيارتِهِ إنْ كانَ ذلكَ مِن قريبٍ أو كانَ مِن بعيد: **أَنَا عَبْدُ اللهِ وَمَوْلَاكَ وَفِي طَاعَتِكَ وَالوَافِدُ إِلَيْكَ أَلْتَمِسُ كَمَالَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ** - هذا أوَّلاً - **وَثَبَاتَ القَدَمِ فِي الهِجْرَةِ إِلَيْكَ** - هذا ثانياً - **وَالسَّبِيلَ الَّذِي لَا يَخْتَلِجُ دُوْنَكَ** - لا يختلجُ لا يضطربُ، إنَّني أُريدُ السَّبيلَ الَّذي يُوصِلُني إليك، كُلُّ هذا من أينَ ألتمسهُ؟ مِن أينَ أُحَصِّلهُ؟ - **مِنَ الدُّخُولِ فِي كَفَالَتِكَ الَّتِي أَمَرْتَ بِهَا** - هذهِ هي الكَفَالَةُ الحُسينيَّة.
هذهِ الخطواتُ الأولى في الهجرةِ إلى أبي عبد الله، إنَّني أتحدَّثُ عن هجرةِ العقول إلى حُسين، وعن هجرة القُلوب إلى حُسينٍ، وعن هجرة الضمائرِ والوجدان إلى حُسينٍ، لا أتحدَّثُ عن هجرة الأبدانِ، فهذا أمرٌ يأتي في سياقِ هجرة العقولِ والقلوبِ إلى أبي عبد الله.
القُلوبُ هي الَّتي تقودنا إلى الحُسَين، الحديثُ في أجواءِ الكَفَالَةِ الحُسينيَّة، حديثُ الحسينِ حديثُ الحُبّ، حديثُ الحُسَينِ حديثُ العِشق، حديثُ الحُسَينِ حديثُ الجنون، حينَ أقولُ مِن أنَّ حديثَ الحُسَينِ حديثُ الجنون إنَّني لا أتحدَّثُ عن الجنون الَّذي يعني فِقدان العقل، ذلك مرضٌ، تِلكَ إصابةٌ، هذا العنوانُ (الجُنون) عُنوانٌ واسعٌ جِدَّاً في اللغةِ، في الأدبِ وفي ثقافةِ العترةِ الطاهرة.
ما يُنقَلُ عن عابس الشاكري رضوان اللهِ تعالى عليه مِن أنَّهُ قالَ: (حُبُّ الحُسينِ أَجَنَّني)، يسألُ كثيرونَ عن قولةِ عابسٍ هذه؟!
في البدايةِ لابُدَّ أنْ أقولَ مِن أنَّ كُتبَ المقاتلِ القديمة لا يُوجدُ فيها ذِكرٌ لهذهِ الكلمة بحدود اطِّلاعي، بحدودِ معرفتي بِكُتبنا القديمة في كُتب الحديثِ، في كُتُب السِّيَرِ، في كُتُب المقاتِلِ لا أتذكَّرُ أنَّني قرأتُ هذا في كُتبنا القديمة مِن أنَّ عابساً قالَ هذهِ الكلمةَ في عاشوراء، لكنَّني أقول في الكُتُبِ المعاصرةِ وفي الكُتُبِ الحديثةِ نُقِلَ هذا الكلام.
على سبيل المثال:
في الجزء الثامن من (أدب الطف) للسيِّد جواد شُبّر/ طبعةُ مؤسَّسة التأريخ/ بيروت - لبنان/ الطبعة الأولى/ ٢٠٠١ ميلادي/ صفحة (١٧١)، جواد شُبّر مُؤلِّفُ هذهِ الموسوعة، إنَّها موسوعةُ أدب الطف، هكذا قال: **قالَ أربابُ المقاتِل** - لم يُشِر إلى المصدر - **قالَ أربابُ المقاتِل: وتقدَّمَ عابسُ بن شبيب للقتالِ بينَ يَدي الحُسين، وقالَ لمولاهُ شَوذب: ما في نفسكَ أن تصنعَ اليوم؟** - عابسٌ يقول لشوذب - **قالَ: أُقاتِل حتَّى أُقتَل، قالَ: ذلكَ الظنُّ بِك فتقدَّم بين يدي الحُسين حتَّى يَحتَسِبَكَ كما احتَسَبَ غيرَك، ثُمَّ سَلَّمَ على الحُسين وقالَ: يا أبا عبد الله** - عابسٌ الشاكري - **وقالَ: يا أبا عبد الله، أمَا واللهِ ما مشى على وجهِ الأرضِ قريبٌ ولا بعيدٌ أعزُّ عَلَيَّ وَلا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنك، ولَو قَدِرتُ على أنْ أدْفَعَ عنكَ الضَّيم أو القَتلَ بشيءٍ أعزَّ عَلَيَّ مِن نَفسي وَدَمي لَفَعلت، السَّلامُ عَليكَ يا أبا عبد الله أَشْهَدُ أَنِّي عَلى هُدَاكَ وَهُدى أَبِيك، ثُمَّ مضى بالسيفِ مُصلتاً نحوَ القوم** - أي أنَّهُ قد أخرجَ سيفهُ مِن غِمده وتوجَّه إلى المعركة - **وبِهِ ضَربةٌ على جبينِهِ مِن يومِ صفّين فطلبَ البِراز، قالَ ربيعُ بن تميم: لَمَّا رأيتهُ مُقبِلاً عرفتهُ وكُنتُ قد شاهدتهُ في المغازي والحُروب فَقلتُ: أيُّها النَّاس، هذا أسدُ الأسود هذا ابنُ شَبيب لا يَخرجنَّ إليهِ أحدٌ منكم، فأخذَ عابسٌ يُنادي ألا رجل؟! فلم يتقدَّم إليهِ أحد، فنادى عُمرُ بنُ سعد ويلكم ارضخوهُ بالحجارة مِن كُلِّ جانب، فلَمَّا رأى ذلك ألقى دِرعهُ ومِغْفَرَهُ** - "المِغْفَرُ"؛ ما يُلبسُ على الرأس - **فَنُوديَ مِنَ النَّاس أَجُنِنتَ يَا عَابِس؟** - أنت في وسط المعركة، السيوفُ والرماحُ تُحيطُ بك لِماذا خلعت دِرعكَ وخلعتَ مِغفَر رأسِك - **أَجُنِنتَ يا عَابِس؟ قال: حُبُّ الحُسَينِ أَجَنَّني، ثُمَّ شَدَّ على النَّاسِ** - إلى آخرِ ما جاءَ في قصّةِ مَقتلِهِ رضوانُ اللهِ تعالى عليه، هذا هو الَّذي ذكرهُ جواد شُبّر في أدب الطف، التعابيرُ تُناسبُ تعابيرَ المؤرِّخين القُدماء لَكنَّهُ لم يُشِر إلى مَصدرٍ من المصادرِ الَّتي نقلَ مِنها ما نَقل، هذهِ التعابيرُ لا يأتي نَسيجُها الأدبيُّ مُنسجماً مع تعابيرِ جواد شُبّر نفسهِ، إذا ما قارنَّا بينَ لحنِ هذا الكلام ولحنِ ما يَكتُبهُ جواد شُبّر هُناكَ فارقٌ بينَ اللحنين، فإنَّ الرجلَ قد نقلَ الكلامَ مِن كتابٍ لكنَّهُ لم يُشِر إلى ذلكَ الكتاب، هكذا قالَ: (قالَ أربابُ المقاتِل)، فيبدو أنَّهُ قد عثرَ على كتابٍ من كُتب المقاتِلِ ووجدَ فيهِ هذا الكلام.
كتابٌ آخر من الكُتُب الحديثة للشيخ أسد حيدر (مع الحُسينِ في نهضته) طبعةُ دار التعارف للمطبوعات/ الطبعةُ الثانية/ ٢٠١٠ ميلادي/ بيروت - لبنان/ صفحة (٢٠٨)، أشارَ إلى هذه الواقعةِ إشارةً إجماليّة: **وكانَ موقفُ عابسٍ**

موقفاً مشهوداً وهو رجلٌ واحدٌ يقفُ أمام جَمعٍ غفير - إلى أن يقول: **فرمى المِغْفَر وألقى الدِّرع، فقيل لهُ: أَجُنِنْتَ يا عابِس؟! قال: حُبُّ الحُسَين أَجَنَّني** - ولم يُشِر إلى المصدرِ أيضاً.
وهُناكَ كتابٌ ثالث أيضاً من الكُتُب الحديثةِ المعاصرة (ثمراتُ الأعواد)، يتألَّفُ مِن جزأينِ في مجلّدٍ واحد، طبعةُ المكتبةِ الحيدريّة، ثمراتُ الأعواد مجموعةُ مَجالس إنَّها مجالسُ الخُطباء لخطيبٍ معروف علي الهاشمي، الجزء الأوَّل، صفحة (٢٦٦) وما بعدها: **حتَّى أنَّ عابسَ بنَ شبيبٍ الشاكري لشوقهِ واشتياقهِ للقتل خرجَ مِن الخيامِ حاسِراً وانحدرَ نحوَ القوم فقيلَ لهُ: عابسٌ أَجُنِنْت؟ قالَ: نعم إنَّ حُبَّ الحُسَينِ أَجَنَّني** - لم يُشِر إلى المصدرِ أيضاً.
هُناك كُتبٌ أخرى لكنَّها دونَ هذهِ الكُتب في منزلتها العلميّة وفي مستواها التصنيفي، هُناكَ كُتبٌ لواقعةِ المقتلِ يومَ عاشوراء لِقُرّاء المقتل لبعضِ الخُطباء ذكروا هذا الكلامَ فيها أيضاً من دونِ ذِكرِ مصدرٍ أخذوا منه، ورُبَّما أخذوا من هذهِ الكُتُب.
أقدمُ المقاتلِ الَّتي بينَ أيدينا هو (مَقتلُ أبي مَخْنَف)، وأبو مَخنَف مُؤرِّخٌ شيعيٌّ، جاءَ فيهِ هذا بخصوصِ عابس الشاكري: **فأخذَ يُنادي أَلا رَجلٌ لِرَجُل؟!** - إنَّهُ يطلبُ البِراز - **فقالَ عُمرُ بنِ سعد: ارضخوهُ بالحجارة، قالَ: فَرُمِيَ بالحجارةِ مِن كُلِّ جانب، فلمَّا رأى ذلك ألقى دِرعهُ ومِغْفَرهُ ثُمَّ شدَّ على النَّاس** - هذا هو الَّذي جاء في أقدمِ مَقتلٍ من المقاتل الَّتي بينَ أيدينا مِن المقاتلِ الحُسينيَّة الَّتي كتبها المؤرِّخون، معَ عِلْمِنا أنَّ مَقتلَ أبي مَخنَف تعرَّضَ للتحريف، هُناكَ قرائن تُشيرُ إلى ذلك، ولستُ بصددِ الولوجِ في هذا الموضوع، لكنَّ هذا التصرُّف مِن قِبَلِ عابس أن يَرمي بِدرعِهِ على الأرض، وأن يَرمي بِخُوذَتهِ على الأرض، ويبقى مِن دُونِ وقايةٍ في وسطِ المعركة، طبيعيٌّ أنْ يُطرَحَ هذا السؤال، أن يسألهُ سائلٌ: أَجُنِنتَ يا عابس؟! وطبيعيٌّ أيضاً سيأتي الجوابُ مِن عابس: حُبُّ الحُسَينِ أَجَنَّني، هذا الكلامُ منطقيٌّ جِدّاً، لكنَّنا لا نمتلكُ مَصدراً من المصادرِ القديمةِ الَّتي بينَ أيدينا تنقلُ لنا هذهِ الواقعة، لا أدري مِن أينَ نقلها جواد شُبّر مِن أيِّ مَصدرٍ من المصادر.
في تأريخ الطبري/ طبعةُ دار صادر/ بيروت - لبنان/ الجزء الثالث/ صفحة (١٠١٣)، أنقلُ لكم كلامَ عابسٍ الشاكري الَّذي تَكلَّمَ بهِ معَ مُسلم بن عقيل صلواتٌ على مسلم بن عقيل: **فَلمَّا اجتمعت إليهِ جماعةٌ منهم** - مِن الكُوفيّين - **قَرَأَ عليهِم كِتابَ حُسينٍ** - مَن الَّذي قرأ كِتابَ حُسين؟ إنَّهُ مسلم بن عقيل - **فأخذوا يَبكُون، فَقامَ عابسُ ابن أبي شبيبٍ الشاكري فَحَمَد الله وَأثنَى عليه، ثُمَّ قال: أَمَّا بعد** - يُخاطِبُ مسلمِ بن عقيل - **فإنِّي لا أُخبركَ عن النَّاس ولا أعلمُ ما في أنفُسِهِم، وَمَا أَغَرَّكَ مِنهُم** - يعني ما ظهرَ مِنهُم - **واللهِ لأُحَدِّثَنَّكَ عَمَّا أنا مُوطِنٌ نفسي عليه؛ وَاللهِ لأُجيبَنَّكُم إذا دَعوتُم، وَلأُقَاتِلنَّ مَعكُم عَدوَّكُم، وَلأضرِبنَّ بسيفِي دَونَكُم حتَّى ألقى الله لا أريدُ بذلكَ إلَّا مَا عِندَ الله** - هذا هو منطقهُ منطقٌ واحد، هذا منطقُ عابسٍ الشاكري حينما وصلَ مسلمُ بن عقيل إلى الكوفة واجتمعَ بالشيعةِ وبالكُوفيّينَ عُموماً وقَرَأ عليهِم كِتابَ سَيِّد الشُّهداء، كلماتٌ واضحةٌ وصريحةٌ وبَيِّنةٌ جِدّاً، شخصيَّةٌ تحملُ الوضوح.
ومهما كانَ الأمر هلْ قالَ عابسٌ الشاكري رضوان الله تعالى عليه هل قالَ في يومِ عاشوراء من أنَّ حُبَّ الحُسينِ أجنَّني أم لم يكُن قد قالها، نحنُ لا نقتدي بعابسٍ الشاكري، عابسٌ شيعيٌّ مِثلي ومثلكم، عابسٌ أفضلُ مِنِّي وأفضلُ مِنكم، هذهِ قضيَّةٌ واضحة لِماذا؟ لأنَّ علاقتهُ بالحُسَين أفضلُ مِن علاقتي بالحُسين، وأفضلُ مِن علاقتكم بالحُسين، المَدارُ إذاً الحُسَين وليسَ عابساً، عابسٌ قالَ هذا الكلام أم لم يَقُله، وحتَّى لو قَالهُ هل سَيِّدُ الشُّهداءِ يُريدُ مِنَّا أن نقولَ ذلك أو أنَّهُ لا يُريد مِنَّا أن نقولَ ذلك؟! ما علاقتُنا بعابس؟! عابسٌ نأخذهُ قُدوةً وأُسوةً في الجهة الَّتي نعلمُ يَقيناً أنَّ الحُسَينَ يَرتَضِيها، إذاً المَدارُ الأوَّلُ والأخيرُ هو الحُسَين، ولا شأنَ لنا بعابسٍ أقالَ هذا الكلام أم لم يَقُله، نحنُ مُطالبونَ أن يصلَ حُبُّنا لهم حَدَّ الجُنون، وهذا ما سأُبَيِّنهُ لكم، هذا ما هو باقتراحٍ مِن عابسٍ أو باقتراحٍ من عندي، هُم يُريدونَ مِنَّا أن نُحِبَّهُم حُبّاً يصلُ إلى حدِّ الجنون.
ما المرادُ مِن ذلك؟!
المرادُ؛ أن نُحبَّهم حُبّاً يُغَطِّي كُلَّ عُيوبِنا.
أتعرفونَ ما معنى الجُنون؟ الجُنونُ يعني الغطاء، يعني السَّتر، هذا هو الجنون، أقولُ لكَ الوقتُ خَطِرٌ في هذهِ الساعة، ولكنَّكَ غَادِر المكانَ في جُنونِ الليل، في غِطائهِ، في سَتْرِهِ، مِن هُنا قِيلَ لِفَاقِدِ العقلِ مِن أنَّهُ مَجنون، لإصابتهِ بمرضٍ أدَّى إلى أنْ غَطَّى هذا المرضُ عَقلَهُ، فعقلهُ مُغطًّى، عقلهُ مستور، وحينما نتحدَّثُ عن جُنونِ هذا المجنون إنَّهُ حديثٌ في حاشيةِ معنى الجُنون، الجنونُ لهُ دِلالةٌ لُغويّةٌ واسعة، ولهُ دِلالةٌ أيضاً في ثقافةِ العترةِ الطاهرة.
مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ يُريدونَ مِنَّا أنْ نُحبَّهم بِجُنون، أنْ يكونَ حُبُّهم يُغَطِّي كُلَّ شيءٍ، لا نَرى إلَّا هم، فحينما يقولُ عابسٌ رضوان اللهِ تعالى عليه: **"حُبُّ الحُسَين أَجَنَّني"**، إنَّهُ يتحدَّثُ بالمنطق النُّوري.
سؤالهم: أَجُنِنتَ يا عابِس؟! هذا منطقٌ تُرابي.
جوابهُ: "حُبُّ الحُسَين أَجَنَّنِي"، هذا منطقٌ نُوري.

نُسَلِّم على أنصار الحُسينِ في زياراتهم: (**السَّلامُ عَلَيكُم يَا طَاهِرِينَ مِنَ الدَّنَس**)، هذا الأمرُ ليسَ ذاتيَّاً لهم، أنصارُ الحُسَينِ شيعةٌ مِن أمثالنا، أُنَاسٌ عَاديّون تَحوَّلوا إلى أُناسٍ غيرِ عاديّين، هل كانَ هذا بفضلِهم؟ أبداً، هذا لا أقولُ بفضلِ الحُسَينِ وإنَّما بفضلِ حُبِّ الحُسَينِ الَّذي كانَ حبَّاً بمستوى الجنون غَطَّى كُلَّ شيء، غَطَّى كُلَّ العُيوب، وغَطَّى كُلَّ النَّقائِص، فعادت تِلكَ الذواتُ ذواتاً نظيفةً نقيَّةً، هذا هو نقاءُ حُبِّ الحُسَين.
طلباً للإيجازِ والاختصار فقد لخَّصتُ لكم ما جاء مِن آثارٍ لِحُبِّ الحُسَينِ علينا في عُمومِ أحاديثِهم ورواياتهم وزياراتهم الشريفة، إنَّني أُحدِّثكم عن آثارِ حُبِّ الحُسَينِ حينما يكونُ حُبَّاً مُتَّسِعاً، حينما يكونُ حُبَّاً يصلُ إلى حَدِّ الجُنون، وأنا أُحدِّثكم عن الجُنونِ هُنا بالمنطق النُّوري لا بالمنطق التُرابي.
أوَّلاً: يُطَهِّرُ الإنسانَ مِن النَّوازعِ الشخصيَّةِ الضيّقة.
سأذكرُ لَكُم مِثالاً عمليَّاً، إنَّهُ مِثالٌ عِراقيٌّ واضح، هذا الكلامُ الَّذي سأذكرهُ لكم يُردِّدهُ الكثيرونَ والكثيرونَ إنْ لم يكُن الأكثر مِن زُوَّار الأربعين مِن العراقيّين، لَمَّا يَبدأُ موسمُ الزيارةِ ويبدأُ موسمُ الزيارةِ مُنذُ بِداية صَفر حيثُ يتحرَّكُ الزُوَّارُ العِراقيّونَ مَشياً من المناطقِ المختلفة باتِّجاهِ كربلاء، حينما يَصلونَ إلى كربلاء وبعدَ أن تنتهي زيارةُ الأربعين ويعودُ الزَّائرونَ أَدرَاجهم إلى بُيُوتِهم، هذا الكلامُ كثيرونَ مِنهُم يقولون بتعابيرهم الشعبيّةِ العراقيّة بعدما يُودِّعونَ الحُسين دَمعةُ شَوقٍ إلى موسم الأربعين وهُم يتوجَّهونَ إلى مُدُنِهم وقُرَاهُم وبُيوتِهم يـقولون:
(رجعنا لطيحة الحظ)، يعني رجعنا إلى حياتنا الاعتياديّة الَّتي هي مَليئةٌ بالمشاكلِ اليوميَّةِ، والصراعات فيما بينَ النَّاس، والخِلافاتِ فيما بينَ الأقارب، ونكد العيشِ في البيوت و و و، يـقولون رجعنا لطيحة الحظ، لِماذا؟ لأنَّهم غادروا أيَّامَ الحُسَين، كانت أيَّاماً تتميَّزُ بخصوصيَّةٍ هُم يتذوَّقُونَها، يستشعرونَ لها حلاوةً مُميَّزةً.
معَ أنَّني أقولُ لهم كُلُّ هذا جميلٌ، لكن السؤال هُنا: هل هذا هو المطلوبُ مِنَّا؟ هل هذهِ الخدمةُ مَوصولةٌ بخدمةِ إمامِ زماننا؟ هذهِ أسئلةٌ تحتاجُ إلى إجابةٍ، لكنَّني بحدودِ الموضوع الَّذي أتكلَّمُ عنه.
وهذا الَّذي يجري هو مِثال تقريبيٌّ، فأنا حينما أقولُ يُطَهِّرُ الإنسانَ مِن النَّوازعِ الشخصيَّةِ الضيّقة لا أقصدُ هذا، هذا مثالٌ، لأنَّ آثارَ حُبِّ الحُسَينِ إذا كانَ حُبَّاً حُسينيَّاً مَهدويَّاً حقيقيَّاً أسمى بكثيرٍ مِن هذا الَّذي يستشعرهُ زُوَّارُ الأربعين.
ثانياً: يُعطي الإنسانَ شعوراً فيَّاضاً بِقلَّةِ قيمة الدُنيا، ولذا يَدفعهُ هذا الحُبّ إلى التضحيةِ وإلى السخاءِ وإلى العطاء.
نقرأ في كتابِ سيِّد الشُّهداء الَّذي كَتَبهُ إلى محمّد بن الحنفيّة من كربلاء: (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنَ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ إلَى مُحَمَّد بنِ عَلِيّ وَمَن قِبَلِهِ مِن بَنِي هَاشِم، أَمَّا بَعْد** - هذهِ كلماتُ أبي السجَّادِ مِن كربلاء - **أَمَّا بَعْد؛ فَكَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُن، وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَم تَزَل وَالسَّلَام**)، هذا المنطقُ مَنطقُ الحُسَينِ لم يكُن خاصَّاً بيومِ عاشوراء، كُلُّ يومٍ عاشوراء، قطعاً يومُ الحُسَينِ الَّذي هوَ يومُ الحُسَينِ لا مثيلَ له، لكنَّها تَجليَّاتٌ، فَكُلُ يومٍ عاشوراء هذا تجلٍّ من تجليَّاتِ عاشوراء، فهذا المنطقُ منطقُ الحُسَينِ، مَنطقٌ فيّاضٌ على طول الدهر.
فكأنَّ الدُنيا لم تكُن لقد طوى المنطقُ الحُسينيُّ صحائفَ الدنيا، حُبُّ الحُسَينِ حينما يكونُ في حدِّ الجنون أو في مَشارفهِ فإنَّهُ يمنحُ الإنسانَ شُعوراً فيّاضاً بقلَّةِ قِيمة هذهِ الدُنيا.
النقطة الثالثة: حُبُّ الحُسَينِ يُقوِّي الروابطَ والأواصرَ معَ النَّاسِ عُموماً، إنَّهُ مادّةٌ لتقويةِ بناءِ لُحمة المجتمع الشيعي، والأمرُ يَنجرُّ إلى المجتمع الإنساني عُموماً، لأنَّهُ يُنَظِّفُ القُلُوب هذا هو السَّبب، حينما تكونُ القُلُوبُ نَظيفةً مُزيَّنةً بِحُبِّ الحُسَين كِيمياءُ حُبِّ الحُسَين إنَّهُ مَادَّةٌ حقيقيَّةٌ للتنظيفِ وإزالةِ الأوساخ وإزالة الأَدْرانِ مِنَ القُلوبِ والعُقُولِ والأرْوَاح، إنَّهُ مَادَّةٌ سِريَّةٌ عَجيبةٌ لتنظيف الفِطرةِ والوجدانِ والضمير.
النقطة الرابعة: حبُّ الحُسينِ يُهيّئ الإنسانَ للدولة العالميَّة المهدويَّة، حُبُّ الحُسَينِ يصنعُ إنسانًا أُمَميَّاً، يصنعُ إنساناً يَحترمُ المنظومةَ البشريَّةَ، في كُلِّ أنحاء العالمِ استعداداً وتمهيداً للدولةِ المهدويَّةِ العالَميّة، فدولةُ إمامِ زماننا لا تختصُّ بأرضٍ، ولا تختصُّ بشعبٍ، ولا ترتبطُ بِقوميَّةٍ مُعيَّنة، إنَّها دَولةٌ عالَميّةٌ، سيكونُ مواطِنُوها مِن أهلِ السَّماءِ ومِن أهل الأرض، إنَّها دَولةُ الحقّ دَولةُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، فَحُبُّ الحُسَينِ يُهيّئُ الإنسانَ للدولةِ العالَميّة، لِماذا؟ حينما يُغَطِّي حُبُّ الحُسَينِ وجدانَ الإنسان فإنَّ الإنسانَ حينئذٍ لا يمتلكُ مِيزاناً للتقييمِ إلَّا أنْ يَكونَ مَصنوعاً مِن هذهِ المادَّةِ السحريَّةِ العجيبة، "أَحَبَّ اللهَ مَن أَحَبَّ حُسَيْناً".
النقطةُ الخامسة: إنَّهُ يَقتلُ القسوةُ والغِلظةَ في الطبعِ البشري، بِما يُفَجِّرهُ مِن رِقَّةٍ في الطبع، خُصوصاً إذا ما تدفَّقت الدموع، إذا ما تدفَّقت صادقةً، إنَّهُ قَتيلُ العَبَرات، فإنَّنا حينَ نَملأُ عُقولَنا، ونملأُ قُلوبنا، ونملأُ ضَمائرنا، ونملأُ وِجدانَنا، ونملأُ فِطرتَنا، ونملأُ كِيانَنا بِحُبِّ حُسَينٍ، إنَّنا نملأُ كُلَّ ذلكَ بعبقٍ، بعطرٍ، بماءٍ نَقيٍّ مَنابِعهُ أُمثولَةُ جمالِ رحمةِ الله، إنَّهُ حُسَينٌ الَّذي تتجلَّى مِنهُ وتتجلَّى فيهِ أكملُ وأجلُّ وأجملُ وأعظمُ نشآت جمال الله، هذا هو الحُسينُ الَّذي يُريدنا مُحَمَّدٌ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله أنْ نَمتَزِجَ بِهِ، (**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَين**)، فَمُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وآله يُريدنا أنْ نَمتَزِج بِحُبِّهِ امْتِزاجاً.
إشاراتٌ قُرآنيّةٌ في هذهِ الأجواء الَّتي نتحدَّثُ فيها:

في سورة الحشر، الآيةُ الحاديةُ والعشرون بعدَ البسملة: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، هذهِ أمثالٌ يُرادُ مِنَّا أنْ نَتدبَّرَ فيها وأنْ نَتفكَّرَ فِيها وأنْ نَجِد ما يُماثِلُها في حياتنا، لهذا السَّببِ ذُكِرت هذهِ الأمثال.

ما المُرادُ مِن إنزال القُرآنِ على جبلٍ؟ هل أنَّ القُرآن يُكْتَبُ في ورقٍ مثلاً هذا المصحف، وهذا المصحف يأتي بهِ مَلَكٌ إنسانٌ من جهة العُلو مِن جهة السَّماء ويقومُ بوضعِ هذا المصحف على الجبل؟! قطعاً هذهِ صُورةٌ سخيفةٌ!!

القُرآنُ لا يتحدَّثُ عن هذهِ الصورة، وإنَّما يتحدَّثُ عن أنَّ الجَبلَ كائنٌ مُدْرِكٌ، وهذا هو مَنطقُ القُرآن، مثلما جاء في سورة الإسراء في الآيةِ الثالثة والأربعين والَّتي بعدها من بعد البسملة: ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ۞ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** - الجبالُ جزءٌ من الأرض - **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾، فالقُرآنُ يتحدَّثُ هُنا عن جهة الإدراكِ عِندَ الجبل والَّتي لا نستطيعُ نَحنُ أنْ نتواصلَ معها، الملائكةُ المقرَّبونَ يستطيعونَ أنْ يَتواصلوا مع هذهِ الجبال، الأنبياءُ أيضاً، قطعاً فوقَ كُلِّ ذلكَ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلواتُ اللهِ عليهم - **وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾.

"لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ"؛ الحديثُ عن جهةِ الإدراكِ في هذا الجبل، هذهِ الجهةُ الَّتي تُسَبِّحُ اللهَ، مثلما جاء في سورة الزخرف في الآيةِ الثالثةِ والرابعةِ بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** - هذا بالنسبةِ لي ولَكُم لبني آدم - **لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** - لكنَّهُ في الحقيقةِ هو شيءٌ آخر - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾، فحينما يُنَزَّلُ على هذا الجبلِ سَيُنَزَّلُ بِحَسبهِ، مثلما نُزِّلَ علينا ما نُزِّلَ مِن القُرآنِ بحسبنا، عمليّةُ جَعْلٍ، عمليّةُ تَصويرٍ، عمليّةُ تَجلٍّ من تجليَّاتِ القُرآن الحقيقي، هذهِ الحقيقةُ العَلَويَّةُ المقدَّسة بحسبِ أحاديثِهم وتفسيرِهم لِقُرآنِهم، بحسبِ زياراتِهم وأدعيَتِهم، لا مجالَ لإيرادِ النصوص لقد تحدَّثتُ عن هذا كِراراً ومِراراً في برامجي السابقة، "العليُّ الحكيم"؛ هُنا هو أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، هذا واضحٌ في نُصوصِ زياراتهم في نصوصِ أدعيَتِهم..

هذا هو القُرآن الحقيقي، بالنسبةِ للجبلِ سيكونُ بما يُناسبهُ: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ**﴾، وجاءت الكلمةُ مُنكَّرةً على أيِّ جبلٍ مِن الجبال، **"عَلَى جَبَلٍ"**، وإنَّما ذُكِرَ الجَبَلُ باعتبارِ أنَّهُ صَخرٌ والإنسانُ ينظرُ إليهِ على أنَّهُ جامِدٌ صَلبٌ ليسَ فِيهِ مِن حِراكٍ أو حياةٍ أو رُوح، ولكنَّ القُرآنَ يقول: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ** - بحسبِ ما يُناسبُ الجبل - **عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾، الجبلُ مُدرِكٌ ومُسَبِّحٌ وما عِندَهُ مِن شهوةٍ وما عِندَهُ مِن ميلٍ إلى هُنا أو إلى هُناك، ولذا فَكُلُّ مَيلِهِ للجهة الَّتي يُسَبِّحها، فهذا القُرآنُ الَّذي هو ظُهورٌ عَلَويٌّ حينما يُنَزَّلُ على هذا الجبل فإنَّ الجبلَ سيذوبُ حُبّاً وعِشْقاً وخُشُوعاً وخَشيَةً، هذا هو حُبُّ الجُنونِ، وجُنُون الحُب.

هذا الخشوعُ فرعُ المعرفة، وإذا ما حَلَّت المعرفةُ حلَّ معها الحُبّ، وهذا الخُشوعُ هو مِن آثار الحُب، "وأمَّا الخشيةُ"؛ فإنَّها تُشيرُ إلى ساحة الجلال الإلهي، القُرآنُ فيهِ وجهُ جمالٍ يكونُ الجلالُ فيهِ مُسْتَبْطَناً، وفيهِ وجهُ جلالٍ يكونُ الجمالُ فيهِ مُسْتَبْطَناً، الجمالُ لا ينفكُّ عن الجلال، والجلالُ لا ينفكُّ عن الجمال، لكنَّها ظُهوراتٌ؛ **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن جَمَالِكَ بِأَجْمَلِهِ وَكُلُّ جَمَالِكَ جَمِيل، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَمَالِكَ كُلِّه"**، هذا الجمالُ يَستَبْطِنُ جلالاً؛ **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن جَلَالِكَ بِأَجَلِّهِ وكُلُّ جَلَالِكَ جَلِيل، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَلَالِكَ كُلِّه"**، هذا الجلالُ يَستَبْطِنُ جَمالاً، **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَمَالِكَ بِأَكْمَلِهِ وَكُلُّ كَمَالِكَ كَامِل، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكَمَالِكَ كُلِّه"**، هذا الكَمَالُ مَجلىً يتواءمُ فيه الجمالُ والجلال، هذهِ مَظاهِرُهم، والحديثُ هُنا عن مظاهر القُرآن، إنَّها مظاهرُ عليٍّ، مظاهرُ جمالهِ، مظاهرُ جلالهِ، مظاهرُ جمالهِ حيثُ يُسْتَبْطَنُ الجلال، ومظاهرُ جَلالهِ حيثُ يُسْتَبطنُ الجمال، ومظاهرُ كَمَالِهِ حيثُ يُشرِقُ الجمالُ والجلالُ معاً.

- **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾، لِماذا؟ لأنَّ الجبلَ مُستعدٌّ لتلقّي هذا الفيض فهو خليٌّ مِنَ النَّوازعِ والنَّزعات، كائنٌ مَوجودٌ مُدرِكٌ مُسبِّحٌ نحنُ لا نفقهُ تسبيحهُ، مُطيعٌ لو أنَّ الله أرادَ أن يُنَزِل عليه قُرآناً بحسبهِ فإنَّهُ سيكون مُستعِدّاً، سيكونُ جاهزاً، ولذا سيتفاعلُ مع هذا الفيض النَّازلِ إليه..

إذا أردنا أن نُطبِّق هذا المثالَ على قُلوبِنا على عُقولِنا؛ لو كانت خَليَّةً مِن النوازعِ والنزعات فهذهِ القُلوبُ سيجري عليها ما جرى على هذا الجبل، لكنَّ العُقولَ والقلوبَ فيها ما فيها من النَّوازعِ والنَّزعاتِ والاختلافاتِ والاضطراباتِ والتناقُضاتِ و و، هذهِ حياتُنا بكُلِّ تشعُّبَاتِها وتعقيداتها، فحينما جُعِلَ لنا هذا القُرآن وأُمِرنا أن نأخُذَ تَفسيرهُ مِن عليٍّ وآلِ عليٍّ لو فعلنا لأصابنا التوفيق، ليسَ في كُلِّ الأمرِ على الأقلِّ في بعضه.

ما علاقةُ هذا بالحديث عن حُبِّ الحُسَين؟!

حُبُّ الحُسَينِ يَختصرُ كُلَّ هذا الكلام إنَّهُ يُطَهِّر العُقولَ والقُلوب لكن بشرط؛ أنْ يكونَ بدرجةِ الجُنون، إذا كانَ حُبُّ الحُسَينِ بدرجة الجنون، والجُنونُ هو أعلى مراتب العِشق ومِن هُنا يقولونَ؛ "مِن أنَّ العِشقَ ضَربٌ مِن الجُنُون"، هكذا تقولُ الفلاسفةُ حينما تتحدَّثُ عن العِشقِ البشري، عن عشقِ رجلٍ لامرأة، أو عن عشقِ إنسانٍ لأيِّ شيءٍ من الأشياء، يقولونَ عن العشقِ هذا هو ضَربٌ من الجنون، لكنَّ هذا بحسب المنطق التُرابي، وأنا لا أتحدَّثُ هُنا بحسبِ موازينِ المنطق التُرابي حديثي بحسبِ موازين المنطق النُّوري، مطلوبٌ مِنَّا أن يكونَ حُبُّنا للحُسَينِ عِشقاً،

وأنْ نَصِلَ في عشقنا هذا إلى حَدِّ الجُنون، هُم يُوجِبونَ ذلكَ علينا، سيتَّضحُ هذا الأمرُ لَكُم مِن خِلالِ كلماتهم وأحاديثِهم.

والحكايةُ هي الحكايةُ في جبلِ موسى:

في سورة الأعراف، الآيةِ الثالثةِ والأربعين بعدَ المئةِ بعدَ البسملة: ﴿**وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ** - هذا السؤالُ لم يكُن مِن مُوسى مُباشرةً وإنَّما السَّبْعُون الَّذينَ كانوا معه قالوا لهُ نُريدُ أن نرى الله، فقالَ لهُم موسى: إنَّكم لا تستطيعونَ ذلك، قالوا لهُ: إذاً فاطلُب مِن الله أن يُريكَ نَفْسه فأنت كَلِيمهُ، وإذا ما رأيتَ الله فَحَدِّثنا فأَخبِرنا، فكانَ سؤالُ موسى سؤالَ الآخرينَ الَّذينَ طلبوا منه أن يسألهُ - **قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً** - في رواياتنا النُّورُ الَّذي سَطَعَ على الجبل هو نُورُ مَلَكٍ كَرّوبيٍّ مِن شِيعَتِهم مِن شيعةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ اللهِ عليهم - **وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً** - وخَرَّ موسَى مَيّتاً كما في أحاديثِهم التفسيريَّة - **فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، ما جرى على الجَبلِ هو صُورةٌ تتناغمُ مع الصورة الَّتي حدَّثتُكم عنها فيما جاء في سورة الحشر، فهذهِ الكائناتُ الَّتي نراها جامِدةً الَّتي نَراها ثابتةً هذهِ كائناتٌ مُدْرِكةٌ تتفاعلُ مع فَيضِ اللهِ سُبحانهُ وتعالى.